ثبات العقيدة والمبدأ في شعر ديك الجن ت ٢٣٤هـ /٨٥٠ م

The Adherence to Belief and Principle in the Poetry of Deek Al-Jin Al-Homsi (850 A.D., 234 H)

أ.م.د. هاشم جعفر قاسم [١] Assist. Prof. Hashim Jaafer Qasim
أ.م.د بشرى حنون محسن [٢] Assist. Prof. Bushra Hanoon Mohsen
أ.د أنوار سعيد جواد [٣] Prof. Anwar Saad Jawad

الملخص

إن للشاعر ديك الجن، ميزة انفرد بها من جميع شعراء العصر العباسي الذين عاصروه بصورة عامة، والشعراء المنتسبين للحزب العلوي والمؤيدين له. اذ لم نعثر على ما يؤكد انه مدح غير أهل البيت المتمثلين بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها -صلى الله عليه وآله وسلم- ولم يتطرق إلى مدح غيرهم. وإذا كان لابد فقد مدح من كان في موضع احترام وتقية ومن سلالة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

- كانت له نظرة خاصة في التعامل مع الوضع السياسي القائم، والمتمثل بسطوة بني العباس على مقاليد الحكم، فلم نعثر على قصيدة قد هجا بها الخلفاء،أو الوزراء، أو الولاة. كما فعل بعض شعراء الشيعة.
- اتضح انه ثابت في عقيدته ونهجه في شعره ولم يحد عنه على الرغم من الظروف القاسية التي مر بها بمختلف مراحل حياته.
- اختلف في مواقفه عن بقية الشعراء الذين عاصروه و تميز من أقرانه، إذ لم يوظف موهبته لغرض التكسب والتزلف بمدح من لا يستحق المدح حيث التزم بالصدق والوفاء، فوضع الكلام بمواضعه، وأعطى كل ذي حق حقه، من خلال من يستحقون الهجاء فأبلى بذلك، ومن يستحقون المدح

١- كلية الآداب/ جامعة أهل البيت-عليهم السلام-.
٢- كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء.
٣- كلية التربية/ جامعة بغداد.

فأحسن فأجاد في نظمه للقصائد التي تبرز مكارمهم التي من اجلها مدحهم، ومن هنا تمثلت ثوابته والتي صرح بها من خلال قصائده.

Abstract

Deek Al-Jin lived in the Abbasid era, he is considered one of the great poets of that period. He did not leave his city of Homs throughout his life. He did not approach the ruling authority, neither the caliph nor any other statesmen. He is known to be one of the supporters and lovers of Ahl al-Bayt (peace be upon them) and he did not approve the rule of the Abbasid Caliph, Thus he did not compose poems that praised the Caliph and his ministers, like the rest of the poets of his time.

He married a Christian girl whom he deeply loved, she also exchanged love with him that she converted to Islam. During his absence, his opponents took advantage of that to spread the rumor that she had betrayed him. When he heard about it, he killed her without investigating it. After the situation was clarified and the truth emerged, he regretted a lot, and as a result, sadness accompanied him until he died. Most of his poems were manifested lamenting her with burning pain and great sorrow.

المقدمة

إن المتصفح في تاريخ الأدب العربي، وفي جميع مراحله، يلحظ أن هناك العديد من الشعراء كانوا ينطلقون في نتاجاتهم الشعرية من رؤية محددة ومن مبدأ ثابت؛ فكانت أشعارهم تمثل الأفكار والشواهد التي اعتمدها المؤرخون لكي ينقلوا لنا ما دار من أحداث في تلك الحقب على اختلاف عصورها. فكانت أشعارهم بمنزلة مرآة تعكس للقارئ والمتلقي صورة العصر بكل أبعادها ومراميها، وبرزت اسماء الكثيرٍ من الأدباء والشعراء في هذا المجال. فقد تميزوا بثوابتهم وصدق مواقفهم في العصر العباسي الذي يعد الأهم والأطول في حكم الدولة الإسلامية، إذ شارك فيه العرب والفرس والأتراك وبعض القوميات الأخرى. وظهر فيه فحول الشعراء في قول الشعر ونظمه أمثال، بشار بن برد (ت١٦٧هـ)، أبي نواس (ت١٨٧هـ)، أبي العتاهية (ت٢١١هـ)، مسلم بن الوليد (ت٢٠٨هـ)، أبي تمام (ت٢٣٠هـ) وغيرهم ممن بقيت أشعارهم إلى يومنا هذا ينشد بها ويستشهد بأبياتها، سجلوا عبر قصائدهم حوادث تاريخية مهمة.

ومن بين هؤلاء الأعلام الشاعر ديك الجن. والذي استوقفنا ثباته على عقيدته التي آمن بها وحبه لأهل البيت –عليهم السلام–، فضلا عن نَظم القصائد في معظم الأغراض الشعرية، مثل الغزل والخمريات والمدح والهجاء.

إن الدخول إلى عالم ديك الجن لم يكن سهلا أو يسيرا بل كان فيه شيء من الصعوبة، فقد كانت أخباره نادرة، فلم يرد ذكره في المصادر كثيرا إلا في بعض الكتب والتي تضمنت شيئا قليلا عنه، ولاسيما عند المؤرخين الذين عاصروه أو الذين تأخروا عنه وحاولوا جمع ما تيسر مما قاله. إن ما طبع من شعره شيء قليل نسبة لما قاله من قصائد، وقد انفرد كتاب الأغاني لأبي فرج الاصفهاني، بذكر أخباره وذكر

قسم كبير من أشعاره، فقد وقع عليه حيف كبير من قبل المؤرخين وذلك بسبب مواقفه السياسية وتحزبه. وأفكاره وميوله الواضحة لأهل البيت –عليهم السلام– في خلال قصائده التي وصلت إلينا؛ جاعلا من مدائحه لهم أساسا ثابتاً فيما يعتقد أو ينتمي. لذا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على ثباته على هذه المبادئ والتزامه بعقيدته وحرصه عليها.

وقد اعتمدنا في ذلك على ديوانه، فضلا عن المصدر الأول والأساس والذي اعتمده أكثر المؤرخين في توثيق أخبار هذا الشاعر و أشعاره ألا وهو كتاب الأغاني، فقد اعتمد ابن خلكان في ترجمته للشاعر على كتاب الأغاني اعتمادا كبيرا إلى حد النقل الحرفي في بعض أجزائه، وكذلك تاريخ دمشق لأبن عساكر. ومن المتأخرين كتاب الأدب العربي العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف، الذي أدلى بدلوه ليرسم صورة عن الشاعر ديك الجن بسب ما يراه مناسبا ووفق اتجاهاته وميوله.

ولقد اقتضت الدراسة أن يُقسم البحث على مبحثين، الأول منها، تناول نُبذة عن حياة الشاعر واسمه ونسبه ونشأته ولقبه. والحديث عن زوجته (ورد) والأسباب التي دعته إلى قتلها. والمبحث الأخر: يتناول الثابت في مواقفه المتمثلة بمدحه لأهل بيت الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–، راثيا شهداءهم، ومبينا مظلوميتهم. إلى جانب شعره في الأغراض الأخرى. وتلته خاتمة تتضمن نتائج البحث وقائمة المصادر و المراجع.

نرجو من الله أن يوفقنا في الوصول إلى ما نروم إليه من اجل خدمة الحقيقة والعلم.

المبحث الأول: حياة الشاعر وسيرته

اسمه ولقبه وكنيته:

ولكي نسلط الأضواء على شخصيته عن قرب وتكون اكثر وضوحا لذا وجب التعرف عليه.

هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم[٤]، ويكنى بابي محمد وقد اسلم جده تميم على يد حبيب بن مسلمة الفهري[٥]. ولد في مدينة حمص سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م. وقد غلب لقبه على اسمه.

اختلف المؤرخون في سبب تسميته بهذه التسمية، لكن الأقرب منها إلى المنطق والواقع، هي إن عينيّ الشاعر كانت خضراوين، أو كألوان ريش الديك، فشبه بالديك[٦].

ورأي أخر قال بأن سبب التسمية جاءت بسبب إنشاده لأبيات من الشعر احتوت في مضمونها اسم الديك وما احتوته من فكاهة ونادرة، وعلى أثر ذلك انتشر اسمه مقرونا بها، وكان قد دعي إلى وليمة، فقال فيها شعرا وكان هدفه المزاح والسخرية:

"دعانا أبو عَمرٍو عميرُ بنُ جَعفَرٍ ... على لَحمِ ديكٍ دَعوَةً بَعدَ مَوعِدِ
فَقَدَّمَ ديكاً عُدَّ مُليا مُلَدَّحاً ... مُبرنسَ اثيابٍ مؤذَّن مَسجدِ"[٧]

٤– ينظر: الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني: ١٢ /١٤٢.

٥– حبيب بن مسلمة الفهري ويكنى بأبي عبد الحمى. صحابي وقائد في الجيش الإسلامي وشارك في معظم الفتوحات الإسلامية في أيام الخليفة الأول والثاني.

٦– ينظر تاريخ دمشق لابن عساكر. مخطوط مكتبة الظاهرية، دمشق ١٩٩١: ١٠ / ١٥٩.

٧– ديوان ديك الجن الحمصي– كارين صادر– دار الصادر– بيروت ط١ سنة ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م:١١١وهذا البيت كناية عن صياحه في الفجر.

وقد انفرد الدكتور احمد بن محمد الشرواني برأي حول سبب التسمية، هو انه كان يقلد صوت الديك في مناسبات عدة[٨]. ذاكراً قصته مع الخليفة هارون الرشيد حين يحاوره و يحادثه ويسأله عن اسمه وهو صغير السن يلعب مع الصبيان، وعبد السلام يمتنع عن الإجابة، وبعد أن ألحَّ عليه الخليفة، ولكي ينقذ نفسه من هذا الموقف اخذ ثياب الصبيان على رأسه وصاح قاق، قاق، قاق[٩].

وهذه الرواية تحيط بها الشكوك، لان مصادر الأدب العربي تؤكد لنا إن ديك الجن لم يزر بغداد، ولم يغادر مدينته حمص إلا ما ندر[١٠] وغادرها ولأيام معدودة ثم عاد، ولو صدقنا بهذه الرواية فرضاً، حينها كان صغير السن وعدم بلوغه الأهلية أو سن الرشد[١١]. فبالتأكيد يمتلكه الخوف والهلع من هول المنظر والحاشية التي تحيط بالخليفة، هذه الأدلة العقلية والنقلية[١٢]تجعل هذه الرواية في دائرة الشك.

ولادته ونشأته:

ولد الشاعر ديك الجن في عهد الخليفة الهادي الذي توفي سنة (١٦٩هـ) وعاصر كل من الخلفاء هارون الرشيد وولديه الأمين والمأمون وكذلك المعتصم، وتوفي في زمن حكم الواثق[١٣]، الذين عرفوا بعدائهم لآل البيت -عليهم السلام- ولاسيما في عصر المتوكل الذي قرب الأتراك كي يقضي على نفوذ الفرس الذين يكنون الحب والاحترام لحزب الأمام علي -عليه السلام-. وكان السبب الرئيسي أن يبتعد ديك الجن عن الخلفاء والموالين لهم حتى اتهم بالشعوبية.

المطلب الأول: المرحلة الأولى حياة ديك الجن:

لم نلحظ شيئا يخص نشأة الشاعر ديك الجن في المراحل الأولى من حياته، والتي تكمن فيها الغرابة التي تميزه من أقرانه، أو تلفت النظر إليه. فقد ولد في مدينة حمص[١٤]، ونشأ في احد أحيائها ولم يغادرها إلا ما ندر.

أما طفولته فلم ترشدنا المصادر وكتب الأدب والتراث شيئا عنها. ويبدو إنها طفولة اعتيادية مما لم تشكل حدثا يستحق الوقوف عندها أو التنبه إليها.

نستطيع أن نستنتج أنَّه قد ألزم واجبر من قبل أهله و ذويه إلى الذهاب إلى المساجد والاختلاط في حلقات العلم والأدب والمعرفة، حاله حال الصبية من أقرانه، وقد صاحب العلماء والمعلمين والشيوخ والوعاظ، وانخرط بحلقاتهم التي تجمع بين علوم الدنيا والدين، مما مكنه من علوم اللغة وزودته برصيد أدبي

٨- ينظر: نفحة اليمن، احمد بن محمد الشرواني. المطبعة الشرقية ١٣٢٤هـ:٣٤،٣٣.
٩- ينظر نفحة اليمن- ص٣٤،٣٣.
١٠- ينظر ديك الجن الحمصي، تهافت الرواة وشفافية النص، سليم مجاعص، دار امواج -لبنان- ط١ - ١٦:٢٠٠٠.
١١- حكم هارون الرشيد من سنة ١٧٠ ولغاية ١٩٣ هـ، ينظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري- تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار المعارف بيروت- ط٣، ١٩٦٧ احداث سنة ١٧٠ هـ.
١٢- ينظر كتاب الاغاني:ج١٢ و كتاب وفيات الاعيان لأبن خلكان- تحقيق احسان عباس- دار الثقافة بيروت ١٩٧٧:٢٧٥.
١٣- ينظر ديوان بشار: ٣٩ و ينظر: الشعوبية حركة مضادة للإسلام والامة العربية، عبد الله سلوم السامرائي بغداد ١٩٨٥: ١٤٥.
١٤- ينظر: الاغاني: ١٢ / ١٤٣.

وافر استطاع أن يبلوره بتطويع المفردات ليصبح من خلاله شاعرا مرموقا يأخذ منزلته في صدارة شعراء عصره[١٥].

فقد استطاع أن يوظف إمكانياته الأدبية مستغلا نبوغه، ليحصل على مرتبة لا تقل أهمية عن فحول الشعراء وتجسد ذلك في قوله في معظم الأغراض الشعرية وعلى رأسها الحكمة:

"لا تقِف للزَّمانِ في منزلِ الضـ ـيمِ ولا تسـ ـتكين لرقة حالِ
وإذا خِفتَ أن يُراهِقَكَ العُد مُ فَعُذ بالمُثقَّفاتِ العَوالي"[١٦]

المطلب الثاني: حقبة الشباب والمراهقة:

في هذه الحقبة أكتسب كماً من مختلف علوم عصره. ونتلمس ذلك عند قراءة شعره إذ نجده مليئا بالثقافة والمعرفة بأصول الدين الإسلامي، فضلا عن التاريخ والأدب واللغة، وقد عده النقاد من أتباع مذهب أبي تمام[١٧] وذلك لتمكنه من علوم اللغة فأصبح قادرا على التصرف بها، وتسخير مفرداتها، وإبراز دلالاتها، لغة خالية من اللحن، يحاكي بها لغة شعراء الجاهلية.

ولكونه من أهل حمص الذين عُرف عنهم خروجهم للتنزه في بساتينها التي لا تبعد عنها كثيرا والتي تقع في غرب المدينة وشمالها. فكانت ملجأ لطلاب المتعة واللهو يختبئون بين أشجارها، هربا من انتقاد المجتمع لهم فاختاروا التستر والابتعاد عن العيون:

"عين الرقيب غرقت في بحر العمى لا أنت بل عين كل رقيب"[١٨]

زواجه:

إنَّ العامل المباشر الذي غير مسار حياة الشاعر ديك الجن وأحدث فيها انعطافا كبيرا، تجلى بوقوعه بحب فتاة مسيحية اسمها (ورد)[١٩]، وقعت عينه عليها وكانت تمتلك من الفتنة والجمال والرقة شيئاً كثيراً فأصبح أسيرا لحبها، يؤرقه جمالها:

"قولي لطيفكِ ينثني عن مَضجَعي عند المنام"[٢٠]

وبادلته (ورد) هي الأخرى المشاعر نفسها لما لمسته فيه من جمال الشكل واللسان، فاتفقا على الزواج، ولكي تثبت له حبها وإخلاصها استجابت لطلبه بتغيير دينها واعتناقها دين الإسلام[٢١].

لم تدم حياته الزوجية السعيدة مدة طويلة، وذلك بسبب الوشاية وزرع الشك في صدره فكان سببا في قتله لزوجته وحبيبته[٢٢]، إلا انه اكتشف براءتها في وقت متأخر، وندم على ما اقترفت يداه حيث لا ينفع ندم – فكانت الصدمة العنيفة التي هزت كيانه وجعلت في قلبه مرارة وحسرة على ما قام به من جرم لم

١٥- ينظر: الاغاني: ١٢ /١٤٣.
١٦- ديوان ديك الجن: ١٨٠- الضيم: الظلم، يراهقك: يقاربك، المثقفات: الرماح.
١٧- ينظر: الأغاني: ١٢/ ١٤٢.
١٨- ديوان ديك الجن:٨٠.
١٩- ينظر: الأغاني: ١٤٣/١٢.
٢٠- ديوان ديك الجن:١٩٨- ينثني: يرتد.
٢١- ينظر: الأغاني: ١٤٣/١٢.
٢٢- ينظر: الأغاني:١٤٤/١٢.

يسامح نفسه عليه طوال حياته، وقد أصبح قتله لحبيبته (ورد) الوتر الحزين الذي يعزف عليه أشعاره بقية حياته، فراح يرثيها لعل في رثائها ما يقلل ندمه ولوعته على فقدها[٢٣]، فراح يسطر القصائد وينظم الأبيات، مترجماً ندمه على قتلها، وبعد مدة قصيرة تمكن من معرفة من حاك ودبر هذه المؤامرة التي أودت بحياة زوجته فكان ابن عمه أبي طالب فهجاه قائلا:

"يا عجباً من أبي الخبيثِ ومن ... سروحِهِ في البقائرِ الدّثِره
يحمِلُ رأساً تنبو المعاوِلُ عن ... صفحِتِه والجلامِدُ الوعِره"[٢٤]

دور زوجته واثرها في حياته

كان لوجود حبيبته أثرٌ كبيرٌ في حياته إذ تغير من المجون إلى الاستقامة في سلوكه وتعامله وقد بدا ذلك في ما كان ينظم من قصائد، يتضح من معانيها الحب الصادق والغزل العذري:

"انظر إلى الشمس القصور وبدرها ... والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبلُ عينك أبيضاً في اسودِ ... جمع الجمال كوجهها في شعرها"[٢٥]

إن قصر عمر زوجته ورحيلها عنه وموتها على يديه ترك أثره الكبير على حياته:

"للوَردِ حسنٌ وإشراقٌ إذا نظَرت ... إليهِ عينُ مُحِبَّ هاجَهُ الطّرب
خَافَ المَلالَ إذا دامت إقامَتُهُ ... فصَار يظهرُ حيناً ثم يحتجِب"[٢٦]

وراح يرثيها بقصائد كثيرة عله في رثائها يشفي ما يعانيه من ندم وحسرة، ويصف حالته وما يعاني

"تبكي وتقتلُ مَن تَحبُّ ... فَقَدكَ مِن عجبٍ عجيبِ"[٢٧]

فمثل غيابها انعطافة قوية في حياته وسيرته، ولاسيما على الصعيد العقائدي فراح يفصح عن الثوابت التي يؤمن بها غير مبال بالنتائج التي تترتب عليها، وتحولت حياته من اللهو والمجون إلى حياة التدين، حيث تمثلت بحبه للنبي الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- وآل بيته -عليهم السلام-:

"نفسي فداءٌ لكم ومن لكُم ... نفسي وأمي وأسرتي وأبي
أنتم بدور الهدى وأنجمهُ ... ودوحة المكرماتِ والحسب"[٢٨]

المبحث الثاني: الدراسة الموضوعية

المطلب الأول: أغراض ديك الجن الشعرية

يتضح عند بعض الشعراء ومن خلال قصائدهم ان لديهم ثوابت، يؤمنون بها وتمثل القسم الأكبر مما ينظمونه، والقسم الأخر وهو يشمل كل أو بعض الفنون الأخرى والتي تأتي استكمالا أو تتمة إثباتا لشاعريتهم من جهة وتماشيا لما تتطلبه المناسبات والظروف التي تملي عليهم من جهة أخرى.

٢٣- ديوان ديك الجن:١٩١- ماتَ حَبيبٌ فماتَ لَيثٌ وغَاض بحرٌ وباخَ نَجمٌ غاض: جفّ- باخ: انطفأ.

٢٤- ديوان ديك الجن:١١٨- ابي الخبيث: كنية كنى بها ابن عمه أبو طالب- سروجه: شروده- البقائر: جمع بقيرة وهو برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كمّين ولا جيب- الثرة: الوسخة.

٢٥- ديوان ديك الجن:٣٣.

٢٦- المصدر نفسه: ٧١.

٢٧- المصدر نفسه:.٨١.

٢٨- المصدر نفسه:٤٩.

إن الثابت قد يتمحور حول القصائد التي يؤمنون بما تحويه أفكارهم وتميل إليه مشاعرهم تبنى على أساسها مبادئهم وعقائدهم، و يتبلور من خلال ذلك ما ينتجونه من نشاطات أدبية، وتؤسس لهم منهجاً فكرياً أو سياسياً يكون بمثابة الثابت والأساس الذي يعبر من خلاله الشاعر.

وربما تظهر الثوابت نتيجة صدمة أو ردة فعل تزيل في خلالها الغطاء الذي يستر تلك الثوابت، وأحيانا تأتي متأخرة، وهذا ما تبين من تتبع حياة الشاعر ديك الجن الحمصي، حين ألمت به مصيبة قتله لزوجته.

فقد شمل ديوان ديك الجن أكثر الفنون الشعرية التي تحمل في طياتها معظم الأغراض الشعرية، فمثلا قال في فن الهجاء بحق أهل حمص حين يرفضون سماعه وهو يكثر من الصلاة على النبي -ﷺ-:

"سمِعوا الصلاةَ على النَّبيّ تَوالى ... فَتَفرَّقوا شيعاً وقالوا: لا لا
ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامهم ... فَتحزَّبوا ورَمى الرِّجالُ رِجالا"[٢٩]

وقال في الغزل:

"أقصَيتموني مِن بَعدِ فُرقتِكم ... فخَبِّروني علامَ إقصائي
عذَّبني الله بالصُّدودِ ولا ... فَرَّجَ عَنّي هُمومَ بلوائي"[٣٠]

وقال في فصول السنة ولاسيما فصل الربيع الذي راح يتغنى به:

"ونَباتَ باقِلاّءَ تُشبِهُ لونُهُ ... زُرْقَ الحَمامِ مُشيلةً أذنابَها
لو كنتُ أملِكُ للرّياضِ صِيانةً ... يوماً لما وَطِئ اللِّئامُ تُرابَها"

وقال في الفخر:

"وخَوضُ ليلٍ تَهابُ الجِنُّ لَجَّتهُ ... وينطوي جيشُها عن جيشهِ اللجِبِ
ما الشنفري وسُليكٌ في مُغيَّبةٍ ... إلا رضيعا لِبانٍ في حِمى أشِبِ"[٣١]

وفي وصف الخمر عندما تمزج بالماء وتأثيرها على من يتناولها:

"فتنفَّسَت في البيتِ إذ مُزِجت ... بالماءِ واستلّت سَنا اللّهَبِ
كتنفُّس الرَّيحانِ ما مازَجَهُ ... مِن وَردِ جُورٍ الشُّعَبِ"[٣٢]

وفي مناسبة أخرى يقول:

"وحمراءَ قبلَ المزجِ صفراءَ بعدهُ ... أتت بينَ ثوبَي نَرجِسٍ وشقائقِ"[٣٣]

أما قصائده التي يتغزل بها بالنساء فيقول:

"وحياةِ ظبيٍ لم أصُم عن ذكرهِ ... إلّا عضَضتَ تَنَدُّماً إبهامي
لأُشافهنَّ مِن الذنوبِ عَظائما ... يَنتقَدُّ عنها جِلدُ كُلِّ صِيامِ"[٣٤]

ويستوقفنا فن المدح والثناء حيث نجده يقتصر على الرسول وآل بيته (عليه وعليهم السلام) وعلى ذريتهم من بني هاشم.

٢٩- ديوان ديك الجن:١٦٦ وينظر كتاب الاغاني: ١٤/ ٦٧.
٣٠- المصدر نفسه:٦١.
٣١- ديوان ديك الجن:٧٥. المغيبة: الصحراء التي تغيبّ سالكها. الاشب: كثير التلف من الاشجار.
٣٢- المصدر نفسه:٧٨.
٣٣- المصدر نفسه:٢٤٢ وهناك نماذج كثيرة يتضمنها ديوانه راجع: ٢٣٢و٢٣٠و١٩٢.
٣٤- ينظر المصدر نفسه:١٩٨وهناك قصائد كثيرة منها لا على سبيل الحصر في: ١٩٣و١٩١.

راح يؤكد وبصورة جلية الثوابت التي امن بها قبل التحول في سلوكه بصورة عامة وقوله الشعر بصورة خاصة، ومن هذه الثوابت الرجوع إلى الدين الحنيف والى قطب الرحى الذي تدور عليه وتتمثل به القيم الإنسانية والدينية الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- والالتزام بنهج آل بيته الكرام. فوجد من التحلي بالصبر هو الدواء الوحيد في إنقاذه مما هو فيه من الم وحسرة فقال:

"فماتَ ولا صبري على الأجرِ واقِفٌ ولا أنا في عُمرٍ إلى اللهِ راغِب"

أما موقفه من السياسة والحكم فإننا نلحظ أن ديك الجن لم يجهر بتوجهاته وميوله السياسية، التي تتبلور في موقفه غير المؤيد للسلطات الحاكمة، إذ لم نعثر في ديوانه أو في بقية المصادر التي اعتمدناها على قصيدة يهجو بها بني العباس، أو احد خلفائهم كما لم نجد أيضا بيتا واحدا يمدحهم فيه، مخالفا خط شعراء الشيعة وعلى رأسهم دعبل بن علي الخزاعي الذي عرف بهجاء الخلفاء[٣٥]. ولكي يناور في موقفه السياسي، ويسقط الحجة على من يتربصون به، التجأ إلى من لا يمكن أن يعترض عليه أو يجعل به سببا لتوجيه الاتهام إليه وهو النبي الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم-. لا لمجرد التخلص من مطاردة العباسيين كما حدث لبعض شعراء أهل البيت[٣٦]، بل حبا وإيمانا واعتقادا.

المطلب الثاني: قصائده في مدح الرسول وال بيته-صلى الله عليه وآله وسلم-

راح الشاعر يكتب قصائد كثيرة وطويلة بمدح آل بيت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إيمانا بمكانتهم ومظلوميتهم وأحقيتهم بأن يتبوؤا المكانة التي أوصى بها جدهم النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-، وذلك لا كمال الرسالة التي جاء بها. فلم يكن أحد أفضل منهم بالقيام بالدور الذي جعله الله لهم.

عندها وضع الشاعر ومن خلال تجربته الشخصية لنفسه حاضراً ومستقبلاً جديدا يختلف عن الشعراء الذين سبقوه وعاصروه، وجعل له بصمة تميزه عن غيره،، فكان بروز الثبات على مبادئه في قصائده وتغلبه على كل ما سبقها من القصائد والتي نظمت في الأغراض الشعرية الأخرى، فنلحظ في شعره تأثره بالقرآن الكريم واقتباسه من نصوصه؛ كقوله:

"شَرفي محبَّةُ مَعشَرٍ شَرفُوا بِسورةِ (هل أتى)
وَوِلايَ فيمن فَتكُهُ لذي الضّلالةِ أخبَتا
وإذا تكلمَ في الهُدى حجَّ الغَويَّ واسكتا"[٣٧]

حيث وظف سورة الإنسان في قوله الشعري. وقال في موضع أخر:

"يا صَفوةَ اللهِ في خلائقهِ وأكرم الأعجمِينَ والعربِ
أنتم بُدور الهُدى وأنجمُهُ ودوحةُ المكرُماتِ والحَسَبِ"[٣٨]

٣٥- ينظر ديوان دعبل بن علي الخزاعي- تحقيق وجمع عبد الصاحب الدجيلي. دار الكتاب بيروت ١٩٧٢ الذي يهجو الخليفة المأمون بقوله: أيسومني المأمون خيطة جاهل أو ما رأى بالأمس رأس محمد
إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

٣٦- ينظر مطاردة الخلفاء العباسيين لشعراء الطالبيين ومنهم دعبل بن علي الخزاعي.

٣٧- ينظر ديوان ديك الجن:٩٠ -هل أتى: سورة الإنسان: أية ١.. أخبت: أخشع وأذلّ.

٣٨- ديوان ديك الجن:٨٣- (يا صفوة الله في خلائقه) يقصد بهم الرسول وال بيته- يا صفوة الصفوة من كل شئ: خياره وخاصته. الدوحة: الشجرة العظيمة. ينظر: جامع الاخبار- تاج الدين محمد بن محمد الشعيري- مؤسسة الاعلمي-بيروت ١٠:١٩٨٧.

وهنا أيضا توظيف بعض الأحاديث الشريفة، كي يوثقها أدبيا بقصائد كقول الرسول -ﷺ-:(أنت مِنّي بِمَنزِلَةِ هارونَ مِن مُوسى إلا أنّه لا نَبِيَّ بعدي)[٣٩] فقال:

"إنّ الـرَّســـول لم يـزل يـقـولَ والخـيرُ مـا قـالَ بـه الـرَّســـولَ
إنــكَ مــنّي يا عــلــيُّ الأبي بحيـثُ مِن موســـاهُ هـارونُ النَّبيّ
لـكـنَّـهُ لـيـسَ نـبيٌّ بَـعـدي فـأنـت خيرُ العـالمينَ عِنـدي"[٤٠]

إن شعر ديك الجن فسر تأصل الالتزام في حياته الخاصة والعودة إلى فطرته والتقرب إلى الله عن طريق آل بيت الرسـول -عليهم السلام-. فهو يحمل في طيات قصـائده نظرية يعمل على تطبيقها لا في ظل الظروف القاسية التي عاشها بعد قتله لحبيبته فقط.

وقد شـهد عصـر الشـاعر صـراعاً قوياً سـياسـيا وفكرياً قد صـبَّ معظمه في صـالح خلفاء الدولة العباسية[٤١]، و اتسم بمحاربة كل من يمدح خصومهم، وتشجيع من يتماهى معهم من الشعراء على الرغم من ذلك ظل ديك الجن ملتزما بالثوابت المتمثلة بأحقية البيت العلوي بالخلافة، كقوله:

"إنّ الـرَّســـول لم يـزل يـقـولَ والخيرُ مـا قـالَ بـه الرَّســـولَ"[٤٢]

يقتضـي هذا النوع من الشـعر أن يكون إلهاما روحيا يوضـح ما يكمن في نفسـه من الثوابت التي هي مصـــدر إيمانه الذي تعززه وتأكده الحوادث التاريخية، ومن ابرز هذه الحوادث والتي وقف عندها حادثة مبيت الإمام علي بن أبي طالب في فراش النبي -ﷺ- ليلة هجرته من مكة إلى المدينة واتشـاحه برداء النبي[٤٣]:

"وَمـن كَـعـلـيَّ قّـدَى المصـــطـفـى بِـنَـفـسٍ ونامَ فـمـا يَحـفِـلُ
عَشِـــيّـةَ جـاءت قُـريـشٌ لـه وقـد هـاجَرَ المصـــطفى المُرسَـــلُ
وطـافـوا عـلـى فُرشِـــهِ ينتظرون مَـن يـتـقـدَّمُ إذ يُـقـتَـلُ
فلمـا بـدا الصُّـبحُ قـامَ الوَصـيُّ فـاقـبـلَ كـلُّ لـه يَـعـذُلُ"[٤٤]

إن موقفه من صـهر الرسـول الله ووصـيه -ﷺ- جعله لم ينسَ موقفا إلا وأشـار إليه معتمدا على الحوادث التاريخية التي سـجلت في صـدر الإسـلام المتمثلة بالمعارك التي خاضـها المسـلمون كمعركة بدر[٤٥] وغيرها.

مواقفه السياسية:

أما ما يتعلق بجوانب الحياة السـياسـة وموقفه منها. نود أن ننوه بأن ديك الجن تعلق بمسـقط رأسـه، والذي كان مركزا مهما من مراكز المعارضـة السـياسـية للدولة العباسـية، فقد أصـابها الإهمال والضـرر عند

٣٩- مناقب علي بن ابي طالب، ابي الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي، طهران ١٤٠٣هـ:٢٩.
٤٠- ديوان ديك الجن:١٧٢.
٤١- ينظر تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، مصر ١٩٦٦، ج٨ (المنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق).
٤٢- ديوان ديك الجن:١٧٢.
٤٣- ينظر: تاريخ الطبري:٢/ ٢٧٠، ٢٧٢.
٤٤- ديوان ديك الجن:١٧٤.
٤٥- ديوان ديك الجن (سَطا يومَ بدرٍ بقِرضابَة وفي أُحدٍ لم يزل يحمِل) معركة بدر اول صدام بين المشركين والمسلمين. القرضاب: السيف القاطع الحاد.

انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد. كما وان سكانها كانوا من الحزب العلوي ويتبعون آل البيت –عليهم السلام–، أو يميلون إليه عقائديا وعاطفيا، بعدما كانوا اشد الناس كرها وحقداعلى الأمام علي بن أبي طالب –عليه السلام–، ويتأكد ذلك في مواقفهم في حربه في صفين، بجانب جيش معاوية بن أبي سفيان، فقد عرف عنهم أنهم كانوا أكثر تحريضا و تشجيعا على حربه(٤٦). ثم انقلبوا بعد الحرب ليصبحوا من غلاة الشيعة(٤٧). لذا قال فيهم الشاعر:

"ويوم صفين من بعد الخريبة كم دم أطل لنصرة الله إثر دم"(٤٨)

بعد أن اتضحت لهم الحقيقة، واكتشفوا زيف ادعاء معاوية وخداعه. واعترافاً لحبهم لآل البيت –عليهم السلام–، وتكفيرا عن مواقفهم السابقة من الإمام علي –عليه السلام– وصل بهم الأمر، أن يتبركوا بعمود فيه موضع لإصبع الإمام علي –عليه السلام–، ويجعلوا من مقام الإمام علي–عليه السلام– مزاراً لهم، وكذلك قبور أولاد جعفر الطيار(٤٩).

هذه المواقف توضح إنهم اختاروا خطا سياسيا مخالفاً لما ينتهجه خلفاء الدولة العباسية. حينها عُدوا خصوما للسلطات الحاكمة، فأخذوا ينظرون إليهم بعين الحيطة والحذر. ولاسيما بعد اتخاذهم من ثورة الإمام الحسين–عليه السلام– نهجا في الوقوف بوجه الظلم والاستبداد، ومن قائدها رمزاً في التضحية والفداء، فيرثيه الشاعر قائلا:

"مَرَّت بِقلبي ذِكرياتُ بني الهُدى فَنَسيتُ منها الرّوحَ والتَّهويما
وَنَظرتُ سِبطَ محمّد في كربلا فَرداً يُعاني حُزنَه المَكظوما"(٥٠)

إن الظروف السالفة الذكر التي فرضت عليه والتي لم يكن له يد فيها، ولم يستطع أن يقاومها بمفرده مهما بلغت به القوة والإرادة، وقد اقر بعجزه عن مقاومتها، فراح يتمرد عليها، بطريقته الخاصة حتى لا يجذب الانتباه له كونه من المعارضين للحكم العباسي، وما ابتعاده عن قصر الخليفة، وعدم مدحه له إلا دليل على ذلك. حيث خلا ديوانه من أي قصيدة في هذا الغرض. ولكي يبعد عنه عين الرقيب ويسقط كل حججهم أو ادعائهم ضده، فضلا عن اعتزاله ولجوئه إلى غابات وبساتين حمص كما أسلفنا، مثله مثل الصعاليك الذين سبقوه، حين وجدوا إن المجتمع الذي يوجدون فيه لا يتفق معهم من حيث العدالة الاجتماعية والنظم القبلية وما تبعها من توجهات سياسية مع آرائهم وتوجهاتهم وتطلعاتهم نحو العدل والإنصاف وحقوق الإنسان.

قصائده في مدح بضعة الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم–

لقد عرف الشاعر منزلة السيدة فاطمة الزهراء–عليها السلام– ومكانتها عند أبيها وأثرها في الحفاظ على نهج الرسالة المحمدية ووقوفها إلى جانب زوجها الإمام علي–عليه السلام– في التصدي للانحراف الذي قاده جماعة من المنحرفين عن الخط الإسلامي. فقال في مدحها:

٤٦– ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي *حرفي الحاء والميم *:٢/٣٠٤.
٤٧– المصدر نفسه.
٤٨– ديوان ديك الجن:١٩٤.
٤٩– المصدر نفسه:٣٠٢، ٣٠٣
٥٠– ينظر ديوان ديك الجن:١٨٨.. بنو الهدى: أبناء الإمام علي بن أبي طالب–عليه السلام– التهويم: هزّ الرأس من النعاس.

"يا قبر فاطمة الذي ما مثله قبر بطيبة طاب فيه مبيتا
إذ فيك حلت بضعة الهادي التي تجلى محاسن وجهها حليتا"(٥١)

ولم ينسَ الإمام الحسين-عليه السلام- ومن استشهد بين يديه في معركة الطف، حيث رثاه في قصائد كثيرة، مبينا مظلوميته، والطريقة التي قتل بها فيرثيه بلوعة و حرقة:

"أين الحسين وقتلى من بني حسن وجعفر وعقيل غالهم غمر
قتلى يحن إليها البيت والحجر شوقا وتبكيهم الآيات والسور
مات الحسين بأيد في مغائظها طول عليه وفي إشفاقها قصر"(٥٢)

لقد بلغت الأبيات التي قالها بحق أهل البيت -عليهم السلام- والتي احصيناها في ديوانه مائة وأربع وسبعون (١٧٤) بيتا. من أصل مئتين وثمانين قصيدة. ومن دون شك إن هناك قصائد أخرى ضيعت أو ضاعت.

ولكون الشاعر ديك الجن لم يمدح جهة تمتلك المال والسلطان لهذا راح كثير من النقاد يطعنون بولائه وبعقيدته مشككين بإيمانه في البعث والنشور(٥٣).

رسم الشاعر خطا اختاره بنفسه بكل حرية. حين وصلت به الثقافة الإسلامية المدعومة بالواقع، فاختار طريق الحق على الرغم من المصاعب والتضحيات، على طريق الباطل الذي تزينه المغريات. لقد وهبه الله ملكة الشعر، فعرف كيف يوظف هذه الموهبة، حين راح يمدح من يكون أهلا لذلك، حيث يجد فيه كل الخصال التي يذكرها في طيات القصيدة التي ينشدها، من دون كذب او مبالغة، ولم يمدح من يمتلكون المال والسلطة، بعد أن تأكد إنهم ليسوا أهلا للمدح والثناء.

إن ما يحسب لديك الجن في سيرته الذاتية والتاريخية إنما هو دوره في الحياة. حيث عكس قيمة وجوده فاصبح له مكانة عرفها التاريخ ولاسيما تاريخ الأدب.

الخاتمة

إن للشاعر ديك الجن، ميزة انفرد بها من جميع شعراء العصر العباسي الذين عاصروه بصورة عامة، والشعراء المنتسبين للحزب العلوي والمؤيدين له. اذ لم نعثر على ما يؤكد انه مدح غير أهل البيت المتمثلين بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها -صلى الله عليه وآله وسلم- ولم يتطرق إلى مدح غيرهم. وإذا كان لابد فقد مدح من كان في موضع احترام وتقية ومن سلالة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

- كانت له نظرة خاصة في التعامل مع الوضع السياسي القائم، والمتمثل بسطوة بني العباس على مقاليد الحكم، فلم نعثر على قصيدة قد هجا بها الخلفاء،أو الوزراء، أو الولاة. كما فعل بعض شعراء الشيعة.
- اتضح انه ثابت في عقيدته ونهجه في شعره ولم يحد عنه على الرغم من الظروف القاسية التي مر بها بمختلف مراحل حياته.

٥١- ينظر ديوان ديك الجن:٨٩- غالهم:اختالهم، الغمر: الجهل مصحوب بالحقد، مغائظها: من غيظها وهو غضبها الشديد.
٥٢- ديوان ديك الجن:١٢٣.
٥٣- تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول- شوقي ضيف:٣٢٥.

- اختلف في مواقفه عن بقية الشـــعراء الذين عاصـــروه و تميز من أقرانه، إذ لم يوظف موهبته لغرض التكسب والتزلف بمدح من لا يستحق المدح حيث التزم بالصدق والوفاء، فوضع الكلام بمواضعه، وأعطى كل ذي حق حقه، من خلال من يســـتحقون الهجاء فأبلى بذلك، ومن يســـتحقون المدح فأحسـن فأجاد في نظمه للقصـائد التي تبرز مكارمهم التي من اجلها مدحهم، ومن هنا تمثلت ثوابته والتي صرح بها من خلال قصائده.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأحاديث القدسية –محمد أسامة طباع – دار الفيحاء – دمشق ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.
٢. الأغاني –أبو الفرج الاصبهاني– مطبعة بولاق / القاهرة ١٢٨٥هـ.
٣. تاريخ الأدب العربي– العصر العباسي الأول – شوقي ضيف –دار المعارف– بيروت ١٩٦٦م.
٤. تاريخ دمشق– عبد الله بن عبد الله الشافعي – مخطوطات مكتبة الظاهرية – دمشق ١٩٩١م.
٥. تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب –دار صـادر– بيروت –المجلد الثاني – تاريخ الطبع مجهول.
٦. دعبل بن علي الخزاعي– دراســة تحليلية لحياته وشــعره– عبد الكريم الاشــتر– دار الفكر –دمشــق ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٧. ديك الجن الحمصي– تهافت الرواية وشفافية النص– سليم مجاعص– دار أمواج –لبنان ٢٠٠٠ م.
٨. ديوان أبي تمام، حياته وشــعره– الســيد محســن الأمين– حققه حســن الأمين– دار الهادي بيروت ١٤٢٥/ ٢٠٠٤ م.
٩. ديوان ديك الجن الحمصي– جمعه وحققه كارين صادر– دار صادر – بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠١٣ م.
١٠. ديوان دعبل بن علي الخزاعي– جمع وتحقيق عبد الصاحب الدجيلي– دار الكتاب – بيروت ١٩٧٢ م.
١١. الفخري في الآداب السلطانية– محمد بن محمد بن علي بن طباطبا بن طقطقا– دار صادر– بيروت –١٩٧٣ م.
١٢. الكشـكول– بهاء الدين محمد بن الحسـين الحارثي العاملي– منشـورات مؤسـسـة الأعلمي للطباعة ١٩٨٣ م.
١٣. مختار الصـــحاح الأحاديث– محمد بن إسماعيل البخاري– مكتبة الإمام مســـلم– مصـــر–القاهرة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
١٤. معجم البلدان– شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي– بيروت ١٩٩٢م.
١٥. مناقب علي بن أبي طالب– أبو الحسن علي بن محمد الواسطي– طهران ١٤٠٣هـ.
١٦. نفحة اليمن– احمد بن محمد الشرواني– مصر– المطبعة الشرقية ١٣٢٤هـ.
١٧. وفيات الأعيان– احمد بن إبراهيمي بن الخلكان– تحقيق إحســـان عباس– دار الثقافة – بيروت ١٠٧٧.